حقوق الطبع والنشر محفوظة

لم يُخلق الحُب لأجلي

عبدالله دعامسة

A b d a l a h D a a m s a

لم يُخلق الحبُ لأجلي

Instagram: abdallah._daamsa

إهداء

استغرق كتابة هذا الكتاب وتصميميه بالشكل الكامل عشر ساعات فقط لأنه لأجلكم. . . !

أهدي هذا الكتاب لمتابعين حسابي، ولم أحب القراءة ولكل عاشق حزين.

أهديه لمن يُحب الحُزن والبُكاء، لمن يبحث عن رواية حُب مؤلمة.

هذا لك. . . !

أتشرف بمتابعتكم عبر حسابي الانستقرام:

Abdallah._daamsa

المقدمة

" لم يُخلق الحُب لأجلي "، هذه مقولتي ولم أتخلّى عنها، عندما تركتني بتول، عندما هجرت قلبي بمرضِها، لم أتخيل يوماً بأننا سنكون يوماً في هذا الموقف، كُنتُ أُشاهد الناس المرضى وأشاهدهم على التلفاز وأدعوا لهم، لكن لم أتخيل يوماً أنَّ حبيبتي ستكون واحدةً من هؤلاء المرضى.

هي مريضة ولكن أنا دائماً بعد منتصف الليل، في كل يوم أُسيطرُ على قلبي حتى يبقى مُتحفظاً لمشاعري، لا أستطيع أن أُخفي اشتياقي إليكِ وللجلوس والسهر معكِ حتى الصباح، حديثي معكِ يزيد ابتهاج ملامحي، وبُعدُكِ يخلُق الشوق.

أنا أشعرُ بكِ دائماً في قاع قلبي، حيث المكان الذي لم يصله أحداً بعد، حيث وجود كُل الحُب والعشق، دائماً ما يكون قلبي مستقيماً إلا معكِ يميل، حتى جمال عينيكِ يزيدُ الأمر تعقيداً، ولكن مرضُكِ جعل قلبي حزيناً، بعيداً عنكِ.

بالرغم من وجوب وجودي بجانبك، ولكن الداء لا دواء لهُ إلا من الله، وهذه وصية الأطباء بالابتعاد عنكِ، قلبي يتحطم ويُكسرُ كُل يوم مُنتظراً الاقترابَ منكِ، هذا ما أتأملُهُ.

ولكن لا حل لهذا الشيء سوى الانتظار...!

بصراحة لَم أعُد بحاجةٍ لأيامٍ جميلة نقضيها معاً، أنا فقط أحتاجُ عودة الأيام العادية البسيطة التي كُنّا فيها معاً بسلام وهدوء، بلا أمراض، الأيام الهادئة التي لا بُكاء فيها ولا كَرْب، الأيام السابقة التي لا تَعَاسَة فيها، أيام تَملأُ قُلوبُنا بِالحُب والأمان، أيامُ تُضحِكُنا بِلا تصنُّع، أصبحنا فاقدين لهذه الأيام.

"ليتها تعود هذه الأيام"

" بتول، مُقدمة لكُل شيء، جميلة في كُل شيء ".

تخرجتُ من الجامعة بشهادة مُهندس، بدأتُ للتو عملي الذي لم أكُن أُحبه، كُنتُ دائماً أشعر بأن وجودي في هذا العمل وهذا التخصص هو غير ملائم ولكن لا أعلم لماذا، كان دائماً قلبي يُشعِرُني بأن مجالي في شيء أخر كُلياً، ولكن لا حل لي سوى العمل بشهادتي حتى أكسب رزقي.

كان عندي صديقاً واحداً بالجامعة فقط واحد، بكُل صدق أنا أمتلكُ صديقاً منذُ طفولتي، منذ يومي الأول في هذا العالم ما زال يعيشُ بوجهٍ واحد، ما زال يركض ويرهق نفسهُ لأجلي، أبي، هو الشخص الوحيد الذي لم يتغيّر عليَّ، الشخص الوحيد في هذا العالم الذي عاش بوجهٍ واحد.

ولو حدثتُكُم عن نفسي فأنا من البشر الذين لا يُحبون الخروج من المنزل، الذين يُحبون قضاء وقتهم بالجلوس في غرفتهم وحدهم، الذين يشتاقوا لعُزلتهم عند خروجهم لدقائق.
هُم نفس الأشخاص الذين لديهم صديق واحد، لا يتصلون بأحد، ولا يحادثون أحد حتى أنهم يفتحوا مواقع التواصل الاجتماعي بلا محادثة أحد، يزعجهم كُثرة السؤال ويحبون الهدوء والصمت، يعشقوا الكُتب، الهدوء، الموسيقى، الظلام، الكتمان، والأكثرُ من ذلك "العزلة" فهي لدينا إدمان.

" أنا من هؤلاء البشر، وأُحبهم جداً ".

- **السابع عشر من حزيران من عام 2021**

خرجتُ لمكان عملي، كُنتُ أعمل في شركة تعمل في الكهرباء، كان عملي هو الرسم عبر برامج التصميم والأوتوكاد، كُنتُ أعمل بجد وأُجهد نفسي حتى أُحللَّ رزقي، أعمل ليس لأجل أطفالي ولا لأجل أحد، أنا لستُ مُتزوج، لا أعلم لِمّا كرهتُ النساء بعد أن خانت مشاعري تلك الفتاة.

خرجت فكرة الزواج من عقلي نهائياً بعد أن قامت بأفعالها التي جرحت قلبي، أحببتُ فتاة كانت كُل شيء لي، كانت حياتي بأكملها، كُنتُ أشاهد خيانتها لي دائماً وأقول لعلها تمازح صديقاً لها، أجبر قلبي بهذا الكلام بسبب عشقي لها، كُنتُ أُعاتبها دوماً ولكنني تغيّرت، تغيّرت أفكاري وأنا الآن أمشي على مقولتي التي كتبتُها في دفتري وهي " تعوّد دائماً بأن تجعل الأيام التي تكسرك بأن تبني طاقتك من جديد، تعوّد ألا تُعاتب أحداً هجرك أو حتى كسر قلبك، أحسنُ العِتاب هو الغياب، أضعنا وقتاً وعُمراً في عِتاب فلان وفلان، وضاعت طاقاتُنا عبثاً في العِتاب".

أقتضي راتباً يكفيني لنصف الشهر، وأُكملُ باقي الشهر من عملي الخارجي، أحاول اقتناص كُل عمل أو ورشة صغيرة أُتيحت لي كي أعمل فيها خارج أوقات دوامي في الشركة، أعمل دائماً بجد وصدق وأمانة، وهذا ما قالهُ مُديري في الشركة، ولكن رغم كُل كفاءاتي فلا أحد يُقدر ذلك، حتى مُديري الذي مدحني، لم يزد راتبي أبداً منذ بداية عملي عندهم.

في إحدى الأيام وصلت رسالة إلى شركتي، كُنتُ أنا أستلم البريد وأرد عليه دائماً باسم الشركة، ولكنني غبتُ لدقائق وعُدت لأقرأ الرسالة لكنها لم تكن موجودة، حُذفت عن الحاسوب!

كيف حُذفت ومن حذفها؟ قد يكون خللاً في الحاسوب، لم أُعطي اهتماماً للموضوع أبداً، استمر عملي في الشركة لفترة طويلة جداً، أبدأ يومياً من الثامنة صباحاً حتى الرابعة عصراً، أكون في منزل العائلة الساعة الخامسة كوني لا أملكُ سيارة خاصة تنقُلني لأنها تعطلت السيارة بعد الحادث، ولا يوجد سيارات نقل بالأُجرة في مكان عملي.

- **الأول من تموز من عام 2021**

أضاع مُديري هاتفه في الشركة، كان صامتاً ولم نعثر عليه أبداً في كُل الشركة، ولكن ضياع هاتفه يعني ضياع كُل شيء، كان يُخزّن عليه كافة معلوماته ومعلومات الشركة، وكل ما لهُ علاقة بالشركة.

قرر المدير فتح الكاميرات حتى يشاهد أين سقط هاتفه، فتحنا كاميرات المراقبة عُدنا بالمشاهد نعثرُ على مكان سقوط الهاتف، ولكن . . . لاحظنا وجود بعض المشاهد محذوفة!! من عبث بالكاميرات؟ فلا أحد يحق لهُ العبث بها إلا المُراقب نفسهُ وبحضور المدير، كيف حُذفت المشاهد؟ من حذفها؟ ولماذا حُذفت؟ هل كانت بفعل فاعل أو لوحدها؟

فتحت الشركة لجنة تحقيق لتُحقق بهذا الشيء، لمعرفة من عبث بهذه المشاهد، حققت اللجنة مع كُل الموظفين وكُنتُ أنا منهُم، لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة إلا وبحثوا عنها.

كشف فريق التحقيق الحاذف لهذه المشاهد؟ كان صديقي المُقرّب، ليس صديق العمل؛ بل صديق الجامعة والمدرسة، هو من حذف تلك المشاهد، ولكن لماذا؟ وما السبب؟ تحوّل صديقي إلى لجنة تحقيق كُنتُ بجانبه ولكن لم يرضى قول الحقيقة أبداً، حاولوا معه كثيراً ولكن عبثاً يُحاولون.

أقرَّ صديقي بالحقيقة بعد محاولاتٍ عدة من التحقيق، أخبرهم "أنا حذفتُ التسجيلات لأن جامعة القدس أرسلت لصديقي رسالة بأنها ترغب بوجوده معلماً فيها، حذفتُ هذه الرسالة قم حذفتُ التسجيلات حتى لا يعلم صديقي"، صُدمتُ من اعترافاته، ما كُل هذا الحقد تجاهي، وما سببه؟

حُكم على صديقي بالسجن وغرامة مالية بسيطة، ولكن قلبي لم يطاوعني وتنازلت عن حقي، ولكن الحق العام أخذ مجراه، عُدت للشركة حزيناً، مُكتئباً، كارهاً للعمل، ولكن طاقم العمل استقبلوني أفضل استقبال، جلس معي مدير الشركة ثم قال: لا تؤمِّن لصديق في هذا الزمان، لا تثق بقريب منك لهذه الدرجة في هذا العالم، كُن واعياً دائماً وتحرى من كُل حدث، أنا سأعاود التواصل مع جامعة القدس وأخبرهم بالأوضاع بطريقتي الخاصة فلا تقلق، لن أحرمك من شق طريقاً جديداً لك، لعلهُ يبدل حالك لأفضل حال كما ترغب أنت".

أُدخلت الفرحة إلى قلبي من كلام المُدير، لم أستطع إخفاء السعادة أبداً، عُدت لعملي وباشرت فيه وأنا كُلّي حماس واندهاش من موقف المُدير معي وموقف صديقي المُحزن.

انتهى يوم عملي وعُدتُ للمنزل وأخبرتُ والدتي الأحداث كاملة، ليت والدي موجود أيضاً حتى أقص عليه الحكاية، لعله يُقدم لي دعماً كما فعل المُدير، لكن رحمهُ الله، توفاه الله في حادث سير ولكن خرجتُ أنا وأُمي من الحادث بخير بفضل الله.

دخلتُ مسرعاً لفراشي ناسياً كُل الأحداث المؤلمة أُفكر بما سيحدث في الجامعة، متأملاً بحدوث شيء جميل، منذ سنين لم أتحمس وأضحك بعد أن تركت المجهولة جرحاً كبيراً في قلبي، عادت ابتسامتي وعاد حماسي أكثر مما كان سابقاً.

في اليوم التالي، عند وصولي للشركة أخبرني المدير بأنه أرسل البريد للجامعة وردوا عليه على الفور معيدين إرسال البريد الإلكتروني الذي حذفه "من كان صديقي"، عبرّتُ لهُ عن امتناني وشُكري لهُ على ما قدمهُ لي، وبالفعل ما قدمه لم يُقدمه أحد من قبل، فتح لي مجالاً ووقف معي، لعلها تكون بداية خير إن شاء الله.

طلبت الجامعة أن أتوجه إليه فوراً حتى نوقع العقد إن تمت الموافقة، سمح لي المدير بالخروج وتوجهتُ مباشرةً إلى الجامعة، دخلتُ مكتب المُدرّسين، قابلتُ مدير الجامعة، لم أُصدق يوماً أن أقابل شخصاً كهذا، كُنتُ أسمع عنهُ بالتلفاز فقط، دخلتُ إلى غرفته، ثم تعرفنا وناقشنا موضوع تواجدي بالجامعة.

بحمد الله تم قبولي في الجامعة لأكون معلماً للطلاب، ولكن ليس في مجال عملي، إنما في المجال الذي أُحبُه، في المجال الذي كُنتُ أحلم أن أكون فيه، " الحاسوب"، أجل الحاسوب، دائماً كُنتُ أحلم أن أكون فيه وأتعمق في محتواه، وكان نصيبي في الجامعة بعد سنين العناء وفقدان والدي في حادث، وخذلاني ممن أحببت.

انتهى بي المطاف في شركتي وانتهى عملي فيها، كانت كلمات الوداع في الشركة تُبكي قلبي وتُحزنُه، وكأنني راحل ولن أعود، وقد يكون بالفعل كذلك فلا نعلم مصير كل واحدٍ منّا، عندما عُدت للشركة حتى أُخبرهم كمان الخبر سابقاً لي، حضرّوا لي كلمات جميلة وعبارات دخلت قلبي جعلتني أتمنى ألا أرحل وأتركهم، ولكن طريق نجاحي وحُبي لعملي الجديد يتطلب ذلك.

انتهت لحظات جميلة في الشركة، قد تكون أياماً مؤلمة ولكنها كانت جميلة، أقضي كُل الوقت معهم، أراهم أكثر من عائلتي وأصدقائي، كانت أجمل اللحظات والأوقات معهم، ليتنا نذهب كُلنا للتعليم في الجامعة، ليتنا معاً جميعنا، تغيير العاملين معك شيء صعب بعد أن اعتدت عليهم وعلى وجودهم، لكن نعيد الكلام، مشوارك يتطلب هذه التضحية.

غادرتُ مكان عملي لأبدأ في مكان عملي الجديد وهو الجامعة، عُدت للمنزل وأخبرتُ والدتي بقبولي في الجامعة وكل ما حدث معي من تفاصيل جميلة من زملائي بالعمل.

- **الخامس من تموز من عام 2021**

بعد أن خرجت من المنزل متوجهاً إلى الجامعة مشياً على الأقدام، يبدأُ دوامي الجامعي في تمام الساعة الثامنة صباحاً وينتهي بانتهاء المحاضرات الجامعية، رغم أنني أمتلك سيارة ولا أرغب بصيانتها، حتى لو قمت بصيانتها لن أخرج ولن أذهب فيها إطلاقاً بعد الحادثة الأولى وكان ضحيتها للأسف أقرب الناس لقلبي.

أول أيام دوامي في الجامعة، أول لحظاتي في الجامعة، أول خطوة أخطوها كمعلم في الجامعة، مُتحمس جداً لبداية جديدة وللحظات جديدة، لذكرى وأيام جديدة لعلها تكون مليئة بالسعادة والحُب الذي كرهتهُ ولم أعد أقبله.

عند وصولي إلى الجامعة كالعادة متأخراً، متوجهاً بسرعة إلى قاعة التدريس، دخلت إلى القاعة ورددتُ السلام على الطلبة.

- **الساعة 9:20**

انتهت المحاضرة وخرج الطلاب من القاعة وأنا مثل عادتي جلستُ على الكرسي متألماً من الماضي مكسور الخاطر لما حدث معي، حاولتُ كثيراً نسيان أحداث القصة وعواقبها، حاولتُ نسيان من خسرت في تلك الحادثة " والدي"، حاولتُ العيش كأي شخصٍ أخر فقد شخصاً عزيزاً عليه قريباً إليه، في كُل يوم أُحاول أن أبدأ حياةً جديدة، أُحاولُ نسيان الماضي، وكأن الماضي يقول " سأعيش معك للأبد "، تذكرتُ أن هذا أول يوم لي لا يجب أن أقوم بهذه الأفعال.

لا أعلم لما تغيّر مزاجي بعد المحاضرة، دخلتُ الجامعة متحمساً وسعيداً، ولكن عندما خرجت من القاعة بعد نصف ساعة من الجلوس وحيداً أعيش طقوسي الخاصة بآلامي وأحزاني، توجهتُ مباشرةً إلى غرفة المدير – أرسل لي سابقاً بريداً يستدعيني فيه إلى مكتبه – وطقطقت على باب مكتبه قائلاً لي: تفضل، دخلتُ وجلستُ وسألته عن سبب استدعاءه لي، رحب بي أجمل ترحيب كأول يوم لي.

بعد انتهاء حديث المدير، ارتطم كتفي بفتاةٍ لا أعلمُ من هي:

أنا: أسف حقاً لم أرى أمامي، أنا أسف جداً.

الفتاة: لا عليك لا تعتذر.

أنا: هل أطلب لكِ شيئاً ليُعبّر عن امتناني لكِ لقبولك الاعتذار.

الفتاة (بخجل): لا لا شكراً لك، ولكن.... ولكن يمكنكَ مساعدتي بشيءٍ واحد، أنا معيدة في هذه الجامعة وتم تعييني حديثاً، وأبحثُ عن غرفة المدير.

أنا: معيدة! أنتِ! ولكن عُمرك لا يتجاوز الثامنة عشر.

الفتاة (بخجل): شكراً لمجاملتك وشكراً للطفك وكلامك اللطيف، ولكن فعلاً أنا مُعيدة، هل ستساعدُني أو أطلبُ من غيرك؟

أنا: بلى سأُساعِدُكِ.

ثم ذهبتُ معها إلى غرفة المدير، طقطقتُ على باب المدير مرةً أُخرى ودخلنا، تكلّمت الفتاة قليلاً مع المدير، وعرّفت بنفسها وأخبرتهُ بأن اسمها بتول، انتهت مقابلتها مع المدير ولكن هذه الفتاة (المعيدة) ستعملُ معي!

بعد أن تحدثنا كثيراً طلبتُ منها شرب القهوة معاً، وافقت ولكن شعرتُ أنَّ موافقتها ليس رغبةً منها إنما حرجاً من طلبي، ولكن أياً كان المهم أنها وافقت، ذهبنا للكافتيريا لشرب القهوة، أخذها الحديث ومرّت ساعةً كاملة ونحنُ نتحدث عن الطلاب وعن المساق وعن الجامعة بشكلها العام، وحدثتُها عن قصتي بأكملها، لا أعلم لماذا ولكن قلبي ارتاح لها.

أُحدثكُم قليلاً؟ لا أعلم لما قلبي تحرك ونبض بشكل أسرع، لا أعلم ما هذه المشاعر، رغم أنني كرهت الحُب وتركته لأجل المجهولة السابقة، ولكنه عاد!!

أصبحنا نلتقي كُل يوم، نُقدم المحاضرات معاً، تُساعدني دائماً، أي أننا نقضي أغلب أوقاتنا معاً. . . في إحدى الأيام في المحاضرات، حدث معنا موقف غريب ومُضحك ولكن محرج أيضاً، اختلفت أنا وبتول على نقطة معينة في الكتاب، بدأ الطلاب في الضَحك وأنا استمر في استفزاز بتول حتى أكون أنا على حق، وهي تقوم بنفس الفعل.

استمر حوارنا عشرون دقيقة، ولم نتوصل إلى حل، انقسم الطلبة أيضاً وقف الذكور معي، والإناث مع بتول، وبدأت المعركة بيننا، من في فريقي سيقول أنّي على حق حتى ولو لست كذلك، وهي أيضاً، هكذا تحدث الحروب، ولكن حربنا لم تكون كحروبهم، بل حرب تعليمية.

ازداد حوارنا الشديد ثم قالت بتول عن غير قصد: لا يا حبيبي فنحنُ الحق وكلامنا الصحيح.

ثم خرجت من القاعة بسرعة، مُحرجة مما حدث، نظر الجميع إليها نظرة استغراب، وشكوا بأنها تُحبني، في بلادنا التفوه بهذه الكلمات يعني الحُب، أو محاولة التقرّب ممن تُحب، وبعض البلاد يعتبرها كلمة عادية.

اختفت بتول من الجامعة، طلبتُ من الطلاب ألا تسيئوا فهمها فلم تقولها عن قصد، لو قالتها عن قصد لما خرجت مُحرجة هكذا، أظهروا أنهم اقتنعوا ولكن ليس كذلك.

اتصلت فيها مراراً وتكراراً ولكن عبث، لم ترد حتى على مواقع التواصل الاجتماعي، الساعة الواحدة بعد منتصف الليل هاتفي يرن من رقم غريب:

- ألو، من معي؟

- مرحباً؟
- بتول؟
- نعم صحيح بتول، هذا هاتف والدتي أتصل منه.
- قلقتُ عليك يا فتاة، ماذا حدث؟
- بصراحة أنا مُحرجة مما حدث معنا اليوم، اتصلت . . .

ثم قاطعتُها قائلاً: إذا اتصلتِ لتعتذري فلا داعي كان خطأ من غير قصد.

- لا لم أتصل لأعتذر بل لسبب أخر.
- إذاً أخبريني؟
- أنا أريد أن أقول لك شيئاً احفظه بيننا، لستُ أقصد فيه شيئاً ولكن كلانا نعلم، أنا أُحبك ولم أقل الكلمة عن غير قصد، بل قصدتها ولكن ليس بهذا المكان وبين الطلاب، أنا فعلاً أُحبك، حاولت مراراً وتكراراً إظهار ذلك لك، ولكنك تتجاهل، لا أعلم إن كُنت تُحبني أو لا، ولكنني أُحبك جداً، لدرجة أنني لا أقضي يوماً دون أن أحادثك أو أتواصل معك، هذا ما أرغب قوله تصبح على خير.

ثم أغلقت الهاتف ولم تسمح لي بقول حرفاً واحداً، قد أكون غير موافق عليها، أو لا أرغب بها، أو لا أُحبها؟ هل قررت لوحدها؟ يبدوا أنها وضعت قانوناً ولا تريد مخالفته، لستُ أدري.

ما أعرفه حقاً أنني في تلك اللية لم أنم حتى الصباح، لم أغمض عيني ولا للحظة، التفكير يقتُلني، شعرت ببرودة شديدة تلك الليلة، وقلبي يدق بسرعة.

في صباح اليوم التالي، لم أذهب إلى الجامعة أخذتُ إجازة أنا إجازة، ثم اكتشفت أنها أيضاً قدمت لإجازة قبلي، بعد أن أنهيت مكالمتي مع الجامعة اتصلت بي فوراً، لم أرد أول مرة ثم اتصلت مرة أخرى ولم أرد، ثم عاودت الاتصال ثالثاً ثم أجبت على الهاتف:

- هي: لماذا لا ترد؟
- أنتِ من فصل المكالمة البارحة في وجهي وأنا من حقي ألا أرد.
- ولكن . . . لا أعلم معك حق، لكنني لم أعلم ماذا أقول حقاً.
- بسيطة لا تهتمي أنا أمزح، ولكن ما كلامك في ليلة البارحة، هل حقاً؟
- نعم حقاً أنا أحبك حباً شديداً، أحبك بشكل كبير، هل تعترض؟

- دعينا نلتقي أولاً.
- أجبني هل تعترض؟
- لن أجيب، عندما نلتقي نتحدث.
- حسناً أنا في المقهى الذي نجلس فيه بعد الجامعة قرب الدوار.
- حسناً أنا أكون هناك بعد نصف ساعة.
- سأنتظرك لنصف ساعة؟
- انتظرتِ كُل هذا الوقت ولا تستطيعي الانتظار لنصف ساعةًّ!
- حسناً حسناً ولكن حاول الإسراع.
- تمام.

أغلقتُ الهاتف ولبستُ مسرعاً، توجهتُ مباشرة للمقهى دون أن أتفقد أغراضي، كُل تفكيري معها، كُلَ عقلي بين يديها، أفكر كثيراً بأنني قبل سنين عاهدتُ نفسي بألا أتعلق بأحد مهما كلّف الأمر، لن أؤذي قلبي مرةً أُخرى، لن أفتح جروحاً أُغلِقَت بصعوبة.

ولِمْا الحُب طالما أنني أعيش بهدوء، لِمْا أُدخل الحُزن والعذاب إلى حياتي طالما أنني أعيشُ بهدوء وسلام؟ أتنفس وأمشي وحدي ليلاً وأعيش أحزاني لوحدي، لِمْا عليَّ أن أُضيف آلاماً جديدة إلى قلبي وأيامي؟

ولكن قلبي أحب من جديد، لا أعلم إن كان جيداً أو سيئاً، ولكن يبدوا أنني سأجرب حظي ثانياً، قد يكون الحُب الأول لي سيئاً ولكن الحُب ليس للحبيبِ الأولي، الحُب لمن وقفَ بجانبك في الصعاب، الحُب لمن تركَ كُل المغريات لأجلك، الحُب لمن كان سنداً لك عند سُقوطِكَ، الحُب لمن كان قوّتك عن ضعفِك، الحُب لمن كان معك دائماً، وقد تكون هذه الصفات في بتول.

وصلتُ إلى المقهى ثم دخلت وجلست على الطاولة:

- مرحباً.
- أهلاً بتول.
- كيف حالك؟
- الحمد لله
- الحمد لله

- طيب؟
- لا شيء هههه الحمد لله

لم نتكلم لعشر دقائق، فقط ننظر في عيون أنفسنا ونتأمل، نتبادل المشاعر كأننا نعرف بعضنا البعض عمراً طويلاً، كأن الله أعطاني هدية جديدة لأبدأ حياتي معها، لا أهتمُ لكلام الناس عنكِ، لا أهتمُ لآراء الناس فيكِ، يَهُمُني أن تكوني أنيقة، جميلة لا تشبهين أحداً سوى نفسكِ، يَهُمُني أن تكوني لي وحدي فقط، أُحبك وبشدة.

بالنهاية أنتِ انثى، ووجود الانثى بالحياة يُعطي للحياة حلاوة وجمال، صاحبة القلب الطيب، وجودها بين العائلة يُحنّن القلوب بين الأخوة، وجودها في أي مكان يُضيف أناقةً للمكان، تُحب الاهتمام وتهتم بمن يهتمُ بها، ولا تُكسرُ الانثى إلا مرتين، مرةً بموتِ أبيها أطال الله في عُمره، ومرة بخيانة من عَشِقَت.

ثم أخيراً تحدثنا، اعترفنا كلانا بحبنا لبعضنا، وأننا سنكون معاً لنبني أحلامنا معاً، لنؤسس عائلتنا الجميلة الصغيرة، من أول لقاء وضعنا أولويات حياتنا.

كُنّا نلتقي كثيراً وبصراحة لم أفكر يوماً بغيرها أو أن أتركها، كيف أُفكِرُ بغيرها وصوتها يحتلُ قلبي، كيف وجَمال عيونها لا يُغادرُ قلبي، في كُل مرة أتجّهزُ لرؤيتها، ولكن عند اللقاء يتبعثرُ كلامي، وكأنني أراها أول مرة.

- **مر عامين ونصف على علاقتنا**

بعد مرور وقتٍ طويل على علاقتنا معاً قررنا أن نتزوج، إجراءات الزواج كانت صعبة قليلاً وتحتاج إلى وقت، ذهبنا إلى المشفى لإجراء الفحوص اللازمة متأملين أننا سنكون معاً، دخلت بتول إلى المشفى حتى يتم سحب الدم لها، ثم انتهينا وعدنا للمنزل.

جلست أنا ووالدتي وبتول نتحدث عمّا سنقوم به في حفلة الزواج، قاطعت حديثنا مكالمة من المشفى:

- مرحباً، السيدة بتول معي؟
- لا أنا زوجها القادم هههه.
- صديقي. . . كيف حالك؟
- الحمد لله، ماذا حدث؟
- صديقي. . . هل يمكنك القدوم للمشفى؟

- ولكن لماذا؟ ماذا حدث؟ لماذا لا ترسلوا المعلومات عبر الهاتف؟
- لا يمكن حدث مشكلة في الموقع.
- لا، لا يوجد مشكلة، أخبرني ما الذي حدث؟ هل هناك مشكلة؟
- عندما تأتي سنخبرك، أرجوك أن تفهمني، ننتظرك في المشفى.

ثم أغلق الهاتف، أخبرتُ والدتي بما حدث، خفنا جميعاً قد يكون حدث مشكلة أو ما شابه، ذهبنا مسرعين للمشفى لم ننتظر للحظة، أخبرت بتول عائلتها بما حدث ثم لحقوا بنا.

وصلنا إلى المشفى ودخلنا بسرعة إلى مكتب الطبيب ليخبرنا بما حدث:

- الطبيب: هل تُحب بتول فعلاً؟
- وهل هذا وقته؟ ما الذي حدث أخبرنا؟
- أريد إجابات واضحة حتى أجيبك.
- نعم أعشقها.
- كثيراً؟
- بصورة لا يمكن تخيلها.
- بعض الأوقات نحب أناس لا يمكننا أن نكون معهم، قد نعتبرهم أصدقاء، أنا أعلم شعورك وما ستفعله عند معرفتك بالحقيقة، ولكن أتمنى أن تقبلها بعقلٍ واعٍ.

ثم وصلت عائلة بتول.

- الطبيب: بتول مصابة بمرض غير معروف ولا يمكن الزواج منها، وهذا المرض بكُل صدق مُعدي.
- ولكن كيف؟ لم نلاحظ ذلك؟
- أجل ظهر حديثاً وهذه التحاليل تُبين ذلك.

أنكرت بتول الحقائق، ولكن لا محال يا حبيبتي، لا يمكن إنكارها لأنها حقيقة، ذهبنا إلى عشرات الأطباء، وأجابوا نفس الإجابة، لم يقدم لنا أي طبيب أملاً بشفائها أبداً.

أصبحت حياتنا جداً كئيبة، حزينة، هذا الخبر غيّر حياتنا وانقلبت رأساً على عقب، تركت بتول الجامعة وأنا أكملت ولكن لم يعد شغفي وحبي للتدريس كالسابق، أقضي أغلب وقتي منعزلاً، وأنا الآن أكتب لكم هذه النصوص وأخطها بيدي لعلها تخبركم عن حالي وما أنا به، كتبتُ لها كثيراً، أصبحتُ أُحب العزلة وأعشقها.

أصبحتُ من البشر الذين لا يُحبون الخروج من المنزل، الذين يُحبون قضاء وقتهم بالجلوس في غرفتهم وحدهم، الذين يشتاقوا لعزلتهم عند خروجهم لدقائق.

هُم نفس الأشخاص الذين لديهم صديق واحد، لا يتصلون بأحد، ولا يحادثون أحد حتى أنهم يفتحوا مواقع التواصل الاجتماعي بلا محادثة أحد، يزعجهم كُثرة السؤال ويحبون الهدوء والصمت، يعشقوا الكُتب، الهدوء، الموسيقى، الظلام، الكتمان، والأكثرُ من ذلك "العزلة" فهي لدينا إدمان، أصبحتُ منهم.

بتول، كانت أجمل النساء التي أعرفهم، لم أقطع علاقتي بها بتاتاً؛ بل دائماً أقابلها وأحادثها ولكن بغصة قلب وحزن شديد، بصدق شديد أنا هُنا ارتاح قلبي، هُنا حيثُ أكتبُ ما يحتاجهُ قلبي، أكتُبُ عمّن أحببت أي عن بتول.

كثيراً ما كان يُغمى عليها، ننقلها للمشفى وتعاند وتخرج منها، حاولنا معها كثيراً ولكن عبثاً نحاول لا نتيجة.

- **إحدى الليالي الباردة.**

إحدى الليالي الباردة جداً، كانت تضرب برودتها بشدة، في طريقي لمنزل بتول، رأيتها نائمة في الشارع!! ماذا تفعلي يا بتول؟ ما الذي حلَّ بكِ بعد هذا المرض اللعين، أخذتها للمنزل ولغرفتها جلست فوق رأسها وهي ترجف من البرد القارص.

ثم نامت، ونمتُ بعدها.

استيقظتُ صباحاً ورأيتُ ورقةً في يدي، فتحت تلك الورقة وكان مكتوباً:

" مرحباً حبيبي، كيف حالك؟ أتمنى أن تكون بخير دائماً، أجل أنا بتول، أعلم أنك بدأت بالكتابة وتُخفي هذا عنّي، أعلم أنك حاولت كثيراً أن تحب غيري ولم تستطع، في أخر لقاءٍ لنا قبل أن أمرض سألتني اتذكُرُ هذا المكان الذي التقينا فيه أول مرة؟ المكان الذي التقينا فيه أول مرة، ما زالت رائحتُهُ في حِفظي، ما زال كل

شيءٍ في قلبي، فلا شيء أصعب من ذِكرى لم تكتمل، كُلها أصبحت ذكريات، نحفظُها في أعماقِ قلوبنا، ونراها دَوماً في عيوننا، حبيبي أنت، صديقي، وشريكي الجامعي، كُنت كل شيء لي، يوماً ما سأُصبح ذِكرى، فلا تتذكرني بِأيامنا الصَعبة الحَزينة، بَل تَذَّكَر ابتِسامَتُنا معاً وتذّكَر أيامُنا اللطيفة معاً، تَذَّكر الأشياء الجميلة التي تَجعلُ الذِكرى أجمل وليس أسوء.

قد تتصدم من هذه الرسالة ولكن قد تكون رسالة وداع، عندما أشعر أنني مفارق لهذه الحياة سأترك هذه الرسالة بيدك، وهذه الليلة هي ليلة وداعي ورحيلي عن هذا العالم، لا تبكِ أرجوك اقرأها جيداً واحتفظ بها.

حبيبي، ما زلت أحبك حتى ولو أنك لم تأتي إليَّ كثيراً بعد مرضي، ما زلت أحبك لأنك كُنتَ لي كُل شيء، ما زلت أُحبك لأنك الأجمل، أتذكر أيامنا الجميلة عندما كُنّا نسير ليلاً ونشتري القهوة والكعك اللذيذ.

تؤلِمُنا كثيراً تلك الحياة، كأنها تقول لنا ارحلوا، كأننا في ساحة حرب، نُجامل أنفسنا لنقول بأنها جميلة، نُجامل الجميع لنقول بأننا سُعداء، نكتمُ على قلوبنا حتى لا تُظهر ضعفها لأحد، كأن الحياة حملٌ كبير يحتلُ قلوبنا، ولكن... أعتذر...!

أعتذرُ نيابةً عن قلبي الميت الآن، أعتذر لأنني لم أعد أتعاطف معك في هذه الحياة، فمات قلبي من قسوة ما كان يَمُرُ به، مات من شدة المرض!

وداعاً حبيبي، سامحني".

أنهيتُ قراءة الرسالة وانهار قلبي بالبكاء والصراخ عالياً، حملتُها وحدي في الجنازة طيلة الطريق، لم أرضى بأن يشاركني في حملانها أحد، وحفرتُ قبرها لوحدي وأغلقتُها لوحدي، طلبتُ منهم كثيراً أن يرموا التراب عليَّ وعليها، ولكن لا أحد يرد!

كم أستفقد وجودكِ بتول، أصبحتُ أعشق الكتابة لأجلكِ، أصبحتُ أطلب العزلة دوماً، خذلت من صديقي ومن حبيبتي الأولى ومن كُل الناس، وتركني والدي، وأنتِ الآن! ما هذا الحال المظلم والحزين؟ ما هذا الواقع الأليم؟

كلماتي بسيطة مقابل جمالك الذي كان يفتن قلبي، كم أتمنى أن تعود الأيام ولا أتركِكِ للحظة، ولكن يا بتول لِمَا تركتي قلبي يبني أحلاماً ويتأمل، ثم رحلتي، لِمَا؟

تجبرنا الحياة أحياناً؛ تجبرنا الحياة أحياناً على المرور بطرق ليست لنا، تجبرنا على خوض تجارب لا نرغب بها، تجبرنا على أفعال ليست لنا وتصل بنا لحالة الندم، ولكن حُبي وعشقي لكِ لم يكن تجربة سيئة؛ بل أجمل تجارب حياتي والتي انتهت بالحزن.

قد أكون غير واعٍ بما أكتب، ولكن ما أعرفه حقاً أنني أرغب بالكتابة حتى أنسى كُل الماضي، ولكن كلما كتبتُ أكثر، تذكرتُ الماضي أكثر.

تعبتُ من كتم القهر والحُب، لا أحد يدري بما أشعر، كرهتُ كُل العمر بعدك يا بتول، لم تعد لحياتي أي قيمة بدون وجودكِ معي، أعلم أن هذه سنة الحياة، ولكن ليس الآن، وليس أنتِ، لا اعتراض على حُكم الله، الحمد لله.

أنهي كلماتي وكتابي بعبارات قصيرة لأجلكِ يا بتول، لا أعلم إن كانت حياتي ستكمل بشكلها الطبيعي بلا بتول، ولكن ما أعلمه أن قلبي لن ينساكِ، وأنني عاهدتُ نفسي ألا تدخل قلبي بعدكِ فتاة، حتى ولو أملكتني العالم أجمع، كُنتِ في قاع قلبي، حيث المكان الذي لم يصله أحد من قبل.

كوني على ثقة دائمة أنكِ في قلبي دائماً، وأن تفكيري مُنشغل بكِ دائماً، وأن كُتُبي ستتحدث كُلها عنكِ، ليعلم الناس أجمع من هي بتول، وماذا كانت بالنسبة لي!

حبيبتي بتول، سامحيني فلم أستطع أن أموت معكِ، ولكن سنكون معاً في الجنة إن شاء الله، أُحبُكِ جداً بتول، أحبكِ جداً.

وأعيد ذكر المقدمة، فهي بداية النهاية:

" لم يُخلق الحُب لأجلي "، هذه مقولتي ولم أتخلّى عنها، عندما تركتني بتول، عندما هجرت قلبي بمرضِها، لم أتخيل يوماً بأننا سنكون يوماً في هذا الموقف، كُنتُ أُشاهد الناس المرضى وأشاهدهم على التلفاز وأدعوا لهم، لكن لم أتخيل يوماً أنَّ حبيبتي ستكون واحدةً من هؤلاء المرضى.

وداعاً حبيبتي بتول

النهاية

حقوق الطبع والنشر محفوظة

لم يُخلق الحُب لأجلي

عبدالله دعامسة

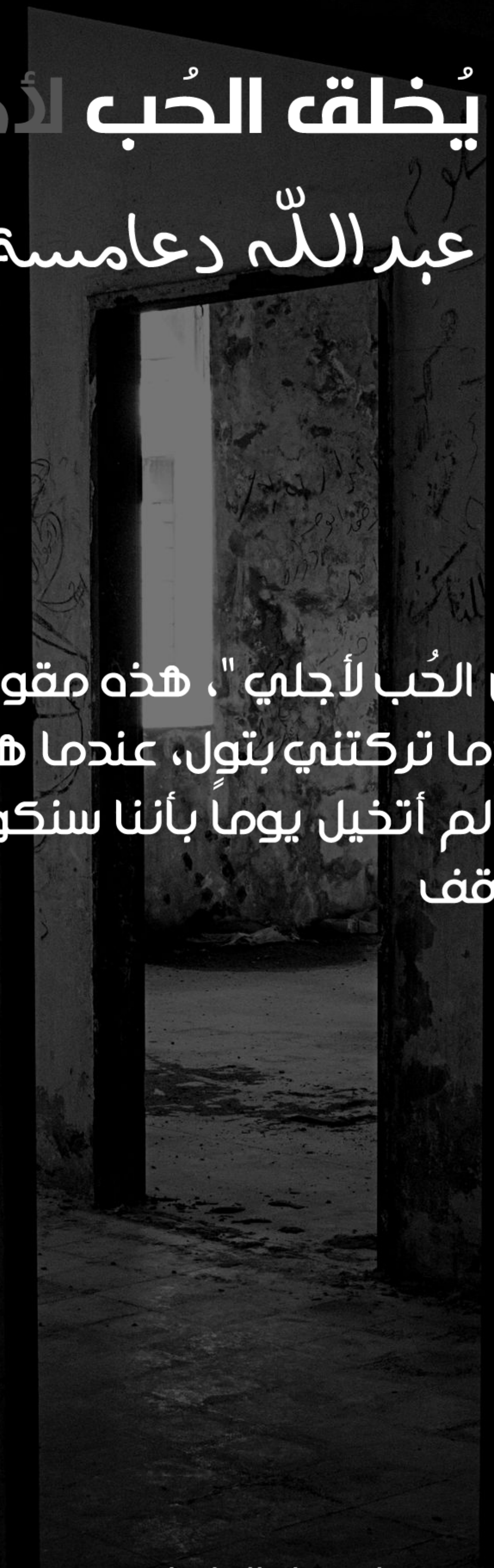

" لم يُخلق الحُب لأجلي "، هذه مقولتي ولم أتخلّى عنها، عندما تركتني بتول، عندما هجرت قلبي بمرضِها، لم أتخيل يوماً بأننا سنكون يوماً في هذا الموقف

instagram: abdallah._daamsa

A b d a l a h D a a m s a